إهـــــــــــــداء....

إلـــــــى

التاريخ.... عَسَاني أنْ أكونَ قلمَ صِدقٍ فيه..

إلـــــــى

من لها روحي بعد ربِّي ورسولي.. (أمي) الغالية الحنون.

إلـــــــى

أخي الغالي (محمد).... الأخ والأب والصديق الحق.

إلـــــــى

الزهرة الصغيرة... الجميلة (ملك).. روح قلبي ونور عيني.

مقدمة

بطرس غالي.. لا أظن أن أحدًا لا يعرف هذا الاسم، أو على الأقل لا يعرف عائلة غالي؛ تلك العائلة التي تؤرخ لـ١٥٠ عامًا من عمر مصر، وتركت بصمات لا تُنسى في ذاكرة التاريخ المصري.

عائلة لها تاريخ طويل يشهد لها بما قدمته لتلك البلاد من أعمال وإنجازات لا تنسى، يعرف هذا من قرأ التاريخ الحق الصادق البعيد عن كتابات البعض التي تصدر عن أهواء ودون حيادية، فكلنا يعلم الداء العضال الذي دائما ما يصيب التاريخ، فتعتل كتابة التاريخ به إلى أن يشفى على أيدي الذين أُطلقُ عليهم – إن صح التعبير – المنصفين.

لقد أصبحت قراءة التاريخ حاليًا من الأمور المحفوفة بالمخاطر والمخاوف من مصداقية المادة المؤرخة؛ لأن كاتبَ التاريخ من البشر، يُصيب ويُخطئ، ربما يكون من المنصفين وربما يكون من المتحيزين، ينتقي مادته من مصادر قد تكون صحيحة وقد تكون غير ذلك. المهم أن النتاج الأخير لمادته لابد وألا يؤخذ كمسلمات يُبني عليها وتصدُر الأحكامُ بناء على ذلك إلا بعد التقصي عن بقية المصادر والمراجع والثقات من الرجال ويتضح الصدق فيها جليًا.

لمثل هذا تعرض كثيرٌ من الشرفاء لتشويه صورتهم بكتابات غيرهم من غير المنصفين، وعلى الجانب الآخر نال كثيرٌ وسامَ الرِّفعَة في التأريخ وما هم بأهله، وقد لا يُوفّ البعضُ حقهم أو حتى جانبًا يُبذل له الرضا.

لهذا فلابد للكتابة التاريخية أن تكون لها معايير وضوابط. ولكن السؤال من يضع هذه المعايير والضوابط؟ وإذا وجدت فمن يلتزم بها؟!

هذا بالضبط ما ينطبق على تاريخ بطرس باشا غالي؛ هذا الرجل الذي حمل على عاتقه فترةً من أصعب فترات التاريخ المصري في ظل غطرسة الاحتلال البريطاني، ولكنه ما نال حقه في التاريخ على الرغم مما قدمه لبلاده، أردت فقط أن أوضح في هذا الكتاب خفايا الأمور التي يغفل عنها كثير من الذين يطّلعون على سيرته.

فإن كثيرًا من التاريخ يحتاج لأن يُعاد كتابته، وعلى هذا تخط د. نعمات أحمد فؤاد كتابها «أعيدوا كتابة التاريخ» لافتة الأنظار إلى تلك الضرورة، وغيرها الكثير والكثير ممن حاولوا إيضاح حقيقة الأمر ودحض الزيف، فعلى سبيل المثال يدافع د. محمد حسين هيكل عن بطرس باشا غالي في كتابه «تراجم مصرية وغربية» دفاعا جاوز حد الإنصاف إلي التعاطف.

فهل يَنسى حسن صنيع القوم إلا جاحد؟!..أليس بطرس غالي هذا هو الذي كانت باكورة أعماله في الوزارة في حل مشكلة الأزهريين وإراحتهم من المتاعب، حتى إن الحكومة لما صممت على إغلاق الجامع الأزهر قال: لا يمكن أبدًا في عهدي أن يُمس الأزهريون بسوء.

- **وهو أول من جعل عيد الهجرة عطلة رسمية:**

ففي عشرين يناير صدر مُلحق للوقائع المصرية يتضمن القرار التالى: "بمناسبة أول السنة الهجرية الجديدة ستقفل نظارات الحكومة ومصالحها يوم السبت أول محرم سنة ١٣٢٧-٢٣ يناير سنة ١٩٠٩". وهكذا تقررت العطلة الرسمية في أعظم مناسبة إسلامية في عهد رئيس وزراء قبطي.

وهو الذي أنشأ الجمعية الخيرية القبطية سنة ١٨٨١م، فخطب في حفل الافتتاح الشيخ محمد عبده والشيخ محمد النجار والشيخ عبدالله النديم.

وإلي غير ذلك من الأعمال التي لا حصر لها تشهد له بنزاهته..فحريٌّ بنا أن نبقي ذكراه خالدة نقية، فهو المصري الوفي الأصيل، وصدّقت أعماله آخر كلماته عند موته: يعلم الله أني ما أتيت أمرًا يضرّ بلادي، وشَهِد له بذلك كثير ممن عاصروه..

أبوآدم (سعد عبدالرازق)

المعادي/ القاهرة

الخميس ٦/ ٥/ ٢٠١٠م